

سورة ال عمران

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ

لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (159)

شرح الكلمات:

{ولو كنت فظاً} أي: سيئ الخلق

{غليظ القلب} أي: قاسيه،

{لأنفَضُّوا من حولك} لأن هذا ينفروهم ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق السيئ.

المعنى الإجمالي :

الأخلاق الحسنة ، تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره؟!

أليس من أوجب الواجبات، وأهم المهمات، الاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما يعاملهم به صلى الله عليه وسلم، من اللين وحسن الخلق والتأليف، امتثالاً لأمر الله، وجذباً لعباد الله لدين الله.

قال الامام بن العثيمين رحمه الله :

الفظ: الجافي الشديد القول.

غليظ القلب: القاسي القلب الذي لا يلين قلبه لأي سبب من الأسباب .

تأملوا معي الآية، تأملوا معي الخطاب الموجه فيها، لمن هو موجه ابتداءً؟! وما نتيجته فيما لو تحقق؟! تقول الآية: ولو كنت -أيها الرسول- وأنت رسول الله وأنت نبي الله وأنت مَنْ أنت، ولو كنت -يا محمد- فظاً غليظ القلب، وحاشاه أن يكون كذلك، لأنفَضُّوا من حولك، لترك أصحابك ولقلاك الناس ولتفرقوا من حولك، لأن الناس لا تطيق ذلك الإنسان الحشن في تعامله، الفظ الغليظ، القاسي الطباع، الحشِر الكَشِر. نعم هذه هي النتيجة القرآنية المحسومة لأصحاب الطباع الغليظة والأخلاق الذميمة، إنها التفرق من حوله، إنها ابتعاد الناس عنه، إنها عدم محبة الناس لمجالسته، فكيف بالاستماع إليه أو اتباعه أو التوجه إليه بالسؤال وطلب الهداية.

أن أحق الناس في تطبيق هذه الآية والعمل بمقتضاها وتحقيق مرادها هم الدعاة إلى الله، لأنهم دعاة إلى هذا الدين، ولأنهم محل اقتداء، ولأن مقصودهم هداية الناس، فأني للناس أن تستجيب لداعية جاف الجنب وحاد الطباع، وقاسي القلب وخشن اللسان، إن هذا ينفر الناس من دين الله، ويكون سبباً في إفشال الدعوة إلى الله بدلاً من العمل على نجاحها.

إن هذا هو مراد الله من كل واحد منا: أن يكون رفيقاً رحيماً لا فظاً غليظ القلب، سواء مع أهله أو زوجته أو أقرابه أو جيرانه أو أصدقائه أو تلاميذه أو زملائه بالعمل؛ لأنه إذا لم يكن كذلك بل كان فظاً غليظ القلب فإن نتيجة ذلك محسومة هي انفضاض الناس -سواء الأقارب أم الأبعاد- من حولك، وكرههم لمجالسك ومجالستك. وهذا خسران كبير لنا في دنيانا وديننا ودعوتنا وعملنا.

أسباب لكظم الغيظ:

- 1- الرحمة بالمخطئ والشفقة عليه، واللين معه والرفق به.
- 2- سعة الصدر وحسن الثقة؛ مما يحمل الإنسان على العفو.
- 3- شرف النفس وعلو الهمة، بحيث يترفع الإنسان عن السباب، ويسمو بنفسه فوق هذا المقام.
- 4- طلب الثواب عند الله.

- 5- التدرب على الصبر والسماحة فهي من الإيمان.
- 6- حفظ المعروف السابق، والجميل السالف.

من أخلاق الداعي إلى الله تعالى:

- 1- الصدق والأمانة.
- 2- التواضع والتسامح.
- 3- الرفق واللطف والرحمة بالمدعويين.
- 4- موافقة القول بالعمل.
- 5- الدعاء للمدعويين .
- 6- الرحمة والشفقة
- 7- الكرم
- 8- العفو عند المقدرة
- 9- تقدير الآخرين واحترامهم
- 10- الستر
- 11- العطف

أسباب قسوة القلب

- 1- حب الدنيا.
- 2- الغفلة.
- 3- مصاحبة أصدقاء السوء.
- 4- كثرة الوقوع في المعاصي والمنكرات.
- 5- نسيان الموت وسكراته ، والقبر وأهواله.

علاج قسوة القلب

- 1- تعلم العلم الشرعي.
- 2- تذكر الموت وما بعده.
- 3- زيارة القبور والتفكير في حال أهلها.
- 4- الإكثار من ذكر الله والاستغفار.
- 5- لعطف على الفقراء.
- 6- بر الوالدين والإحسان إليهما.

وَلَوْ كُنْتَ فِظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (213)



قوله من تفسير سورة آل عمران الآية 159
تحدى ولا تباع
ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أعدها (عزمي إبراهيم عزيز)

7- إذا كانت الغلظة منفرة فالعفو جامع، ولذلك أمر الله تعالى نبيه الكريم بما يترتب على الرفق والبشاشة، وهو العفو فقال: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ).

8- كمال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخلقى.
9- فضل الصحابة رضوان الله عليهم وكرامتهم على ربه سبحانه وتعالى.

10- لو كنت فظا غليظ القلب، فكيف بإنسان ليس نبيا، ولا رسولا، ولا يوحى إليه، ولا أوتي القرآن، وليس فصيحاً، وليس جميل الصورة، وليس رحيماً... ومع ذلك فهو فظ غليظ القلب.

11- لماذا هذا الخطاب؟! لأن الله يريد أن يبين للأمة منزلة الأخلاق في شريعتنا الإسلامية، وأن الأخلاق الحسنة ممدوح صاحبها، وأن الأخلاق السيئة مذموم صاحبها.

12- أن الناس يجتمعون على الرفق واللين، ولا يجتمعون على الشدة والعنف.

13- أن من أهم عوامل نجاح الدعية إلى الله سبحانه: الخلق الحسن، والله سبحانه قد خص آيات في كتابه بحمل أخلاق عظيمة، ذكرها سبحانه في محكم تنزيله لتدل على عظمة الخلق.

14- (العلم والرفق والصر) هذه من أهم المهمات في عالم الدعوة إلى الله، صاحب الأخلاق الحسنة قدوة بذاته، أخلاقه تدعو الناس إلى الانجذاب نحوه.

15- القلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت به القسوة، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار،

16- ما تلا عبد القرآن حق تلاوته أو استمع إلى آياته إلا وجدته رقيقاً قد خفق قلبه واقتشر جلده من خشية الله.

والله اعلم وصلى الله على محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الفوائد:

1- بيان مزار الفظاظة والغلظة، وأن من أعظم مضارها نفور الناس عن الإنسان إذا كان فظاً غليظ القلب

2- الإشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يستعمل مع الناس كل ما يجلبهم إليه، ووجهه: أن الله جعل الفظاظة والغلظة سبباً للتفجير على سبيل الذم لا على سبيل المدح، فينبغي للإنسان أن يستعمل في معاملة الناس كل ما يقرهم إليه بشرط ألا يضيع شيئاً من الواجبات.

3- أن الإنسان قد يعذر في الابتعاد عن أهل الخير إذا كانوا جفاة غلاظ القلوب؛ لقوله تعالى: {لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ} ويعني بهم الصحابة رضوان الله عليهم، ويعني بالمنفض عنه، الرسول عليه الصلاة والسلام، فإذا كان الصحابة لا يلامون على الانفضاض عن الرسول إذا كان فظاً غليظاً فما بالك بمن دونه بمراحل، فلهذا إذا كان الإنسان فظاً غليظاً ولم ير الناس حوله فلا يلومن إلا نفسه، ونحن نرى الآن أن الإنسان ربما يكون كافراً فإذا كان يعامل الناس باللين والرفق والبشاشة والسماحة ربما يفضلونه على مسلم فظ غليظ القلب.

4- النص الكريم يشي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ليس فظاً ولا غليظاً ولا قاسياً؛ لأن (لو) تدل على نفى الجواب لنفي الشرط، والمعنى أنك لست فظاً ولا غليظ القلب.

5- الفظاظة خشونة المظهر، والعشيرة السيئة، وسوء القول، وتجهّم الوجه، وغلظ القلب قسوته.

6- كان النبي - صلى الله عليه وسلم - باشاً لطيف المعشر متسامحاً رحيماً لا يقسو ولا يعزّيت أحداً ولا يغضب ولا يشب، وما ضرب أحداً بيده قط، وكان سهلاً في معاملاته متسامحاً، وكان طلق الوجه دائماً.